

توهم نفسك

في ساعة الاحتضار ، في ظلمة القبر ، في ساحة المحشر ،
على متن الصراط ، عند الميزان ، في الجنة أو في النار

د. عبدالكريم الديوان

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار... العظيم الجبار...

الكبير المتعال . . الذي جعلنا للبلوى والاختبار، وأعد لنا الجنة والنار، فعظم لذلك
الخطر وطال الحزن لمن عقل وادكر.. .

الحمد لله الذي تفرد في أزليته بعز كبريائه ، وتوحد في صمديته بدوام بقاءه ، ونور
بمعرفة قلوب أوليائه ، وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه ، وسكن خوف
الخائفين بحسن رجائه ، ونقل أرواح المحبين في رياض معاني أسمائه ، وأسبغ
على الكافة جزيل عطائه ، حمد معترف بالعجز عن عد آلائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تضمن الحسنى لقائلها يوم لقائه ،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خاتم أنبيائه ، وسيد أصفياه ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وخلفائه ، ومن اقتفى أثرهم ففاز باقتفائه ، صلاة دائمة ما در وابل
فاهتز من الروض معاطف إرجاءه ، وسلم تسليما كثيرا .

بين يدي الرسالة

سبحان الله . . . كم يعيش الإنسان في غفلة وإلا :

* فما بالنا لا نتعظ ونحن نسمع المواعظ .

* وما لنا لا نعتبر ونحن نرى حوادث الموت المؤسفة .

* وما لنا لا نتأثر ونحن نتبع الموتى بين حين

و آخر ونودعهم في صدع من الأرض ونعلم بأننا بعدهم مشيعون ، ومنها خارجون ، وبين يدي الله واقفون ، فمحاسبون ، وبأعمالنا مذكرون ، فإلى النار مساقون ، أو في الجنة نازلون . نسأل الله من فضله . ونعوذ به من يوم الفضيحة والحساب .

ففي هذه الرسالة :

وقفة لمراجعة النفس على تقصيرها .

وعظة للاعتبار بما يمر بها من أحداث .

وتذكر لما نسمع من أهوال وأحوال الآخرة .

وعبرة للاتعاظ بمن سبق ، قبل أن تحل بنا الحوادث وينادى علينا بالرحيل .

إن مشهد الاحتضار حين تبلغ الروح الحلقوم وتتهيأ للخروج . . نعم تتهيأ لتخرج من ذلك الجسد بأمر ربها كما دخلت فيه بأمره أول مرة ، ليقف صاحبها على حافة العالم الآخر ، ويقف الجميع عنده مكتوفي الأيدي عاجزين ، لا يملكون له شيئاً ، بل لا يدرون ما يكون له في تلك الساعة .. لأمر يستحق منا وقفة طويلة بل وقفات ووقفات نتذكر فيها تلك اللحظة الحاسمة .. لحظة الفراق ، لحظة الانتقال ، ولحظة توديع الدنيا ومن فيها ، وما فيها !

أهل وبنين ومال ومتاع ..

كيف سنتركهم ؟

وما الذي سنخلفه لأنفسنا بعد هذا الفراق ؟

وما الذي سنتركه وراءنا ؟

إنه لأمر مهول ومحزن كما إنه أمر يدعو إلى الخوف والحذر.

فما أكثر الأسباب المحيطة بنا للموت ،

ولكن ما أبعد الشعور بقرب الأجل .

فإنه المستعان .

ألست معي إن من أسباب الموت الكثرة والقريبة ،

حوادث السيارات التي هي مركوبنا اليومي ، فهل فكرت وأنت تدير محرك سيارتك لتنتقل بها كل يوم ، أن لا تعود في آخر اليوم لأهلك كعادتك ؟ اللهم إلا ليغسلوك ويجهزوك لمثواك الآخر ، بعد أن يلقي عليك اهلك نظرتهم الأخيرة وهم يوارونك التراب .

وألست معي أيضا أن الكثير اليوم يموتون بأمراض تفجعهم من غير سابق مقدمات ولا إنذارات تكون فيها نهاياتهم ، فمن يضمن أن لا نكون من أهل تلك الأمراض التي طالما وسرعان ما أفقدت الوعي وأخلت بالنبض ودهورت أجهزة الجسم ، فلا يتمكن معها أصحابها حتى أن يوصوا أو أن يعهدوا لأحد بشيء ، فلا نسمع إلا فلانا قد مات .

وألست معي عن عجيب ما نسع بموت الفجأة . .

من يفارق الحياة على نوم الليل أو وهو جالس يتحدث أو عابر في طريق ، أو قل حتى وهو يسمر ويمرح ، أو ... أو ، فتوهم نفسك يا عبد الله أنك هذا أو ذاك ممن وقف علي شفير الحياة وحافة الموت ، ينظر بما تبقى له من نظر إلي أحب الناس إليه يودعهم بنظراته الأخيرة ، ونفسه بين جنبه تنازعه تريد أن تخرج لتفارق ذلك الجسد . الله أكبر . . إن الأمر الذي كنت تسمع عنه يا عبد الله ، وتحذر منه ، وتدعى للاستعداد له ، أصبحت الآن تعايشه حقيقة وتتحسسه بكل ما فيك من إحساس بقي ، **فها هو النفس يضطرب في صدرك وهاهي الأعضاء تضعف وتثقل ، وها هي النظرات تزغلل وها هو البرود أخذ يدب في الجسد ويرى في الأطراف ، وها هو لسانك يثقل عن الرد فلا تقوى أن تجيب به سائلا أو تهون به نحيب من صار ينتحب عليك من بنيك وبناتك ومن صعب عليهم منظرک وحالك ، وأنت تودع هذه الحياة وتستعد للرحيل .**

في ظل تلك المشاعر الراجفة الواجفة ، الآسفة الآسفة ، ما تظن أن الإنسان فاعل فيها؟

وما موقفه حيالها؟

وما مصيره فيها؟

سؤال لا يملك الإنسان معه جواباً، وأنى له ذلك ، وقد خبئ له ذلك في لوح الغيب ، اللهم إلا الدعاء لنفسه بأن يفتح الله على قلبه ويفتح على قلوبنا جميعاً بما يجعلنا أن لا ننسى تلك الساعة أو نغفل عنها وما ينبغي أن يكون لها من الإستعداد..

بأن يرزقنا من يذكرنا بها فلا ننساها، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا غاية قصدنا، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه .. اللهم آمين .

إذا أردت يا عبد الله أن لا تتدم على مصيرك أو تحزن لما سينزل بك من أمر الموت فعليك بنصيحة خير من نصح وأوفى في النصح حيث قال عليه الصلاة والسلام " أكثروا ذكر هادم

الذات .. الموت " ^(١)

قال علماءنا رحمهم الله عليهم : قوله عليه الصلاة والسلام : "أكثرُوا ذكر هادم الذات .. الموت" كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة ، فإنه من ذكر الموت حقيقة ذكره .. نعص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه من تمنيتها في المستقبل ، وزهده فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام : "أكثرُوا ذكر هادم الذات " مع قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ^(٢) ما يكفي السامع له ، ويشغل الناظر فيه.

(١) أخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه ، وهو حديث صحيح كما قال عنه الألباني في الإرواء

(٢) سورة آل عمران ، ١٨٥

لقد أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم ، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعدا له .

فقد كان بعض الصالحين ينادي بليل على أسوار المدينة : الرحيل . . الرحيل ، فلما توفي فقد صوته أمير المدينة ، فسأل عنه فقيل : إنه قد مات فقال :

ما زال يلهج بالرحيل مناديا.. .. حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً ومشمرًا.. .. ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم ؟

من الموت طالبه والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفرع الأكبر كيف يكون حاله ؟ . .

وقال الدقاق : من أكثر من ذكر الموت أية بثلاثة

أشياء :

* تعجيل التوبة .

* وقناعة القلب .

* ونشاط العبادة .

ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء :

* تسويف التوبة .

* وترك الرضا بالكفاف .

* والتكاسل في العبادة .

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد
 لم تغن عن هرمرز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
 ولا سليمان إذ تجري الرياح له والإنس والجن فيما بينها ترد
 أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يفد؟
 حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

وبعد فهذه أخي رسالة موجزة . . مختصرة في أحوال الموتى والآخرة ، كانت في الأصل
 موضوع خطبة من خطب يوم الجمعة ، ثم أضيف إليها وزيدت وعدلت حتى خرجت بهذه
 الصورة الأخيرة . .

أسأل الله أن ينفع بها ويخلص لنا النية ، وأن يتقبل منا العمل بقبول حسن هو
 ولي ذلك سبحانه .

وقفه

أعلم أخي . . أن مما يجعل المرء يستفيد من ذكر الموت وينتفع به هو :

- ١ - كثرة استماعه لهذا الموضوع وكثرة القراءة عنه، مصداقا لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام : "أكثرُوا ذكر هادم اللذات . . الموت "
- ٢ - على الخصوص القصص التي تدور حوله والحوادث القريبة والعجيبات التي تقع فيه وما أكثرها
- ٣ - وإذا كانت أيضا بأسلوب متجدد في الطرح والتناول والعرض .
- ٤ - وإن تستمع لها من أشخاص منحهم الله صدق الكلمة وإخلاص النية ورقة القلب ، وسرعة العبرة ودوام الذكر .

قيل يوما لابن الجوزي رحمه الله مال فلان يحدث الناس ولا يبكون ، وإذا حدثتهم أنت بكوا؟

فقال : (ليس النائحة كالتكلى يا بني ! !).

- ٥ - وأن تبتعد عن بيئة الغفلة وتقترب من بيئة الطاعة وجو الصلاح والإصلاح .
- ٦ - وتضرع إلى الله بالدعاء أن يرزقك البصيرة والذكرى ورقة القلب وأكثر من قول : **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلبي على طاعتك ، اللهم أجعل خير أعمالنا خواتيمها ونير أيامنا يوم أن نلقاك ونحوها من الأدعية التي تجعل قلبك دائم الاتصال بالله قريب التذكر والاتعاظ .**

فان الموت يا أخي

نهاية كل حي، وعاقبة كل من يدب على وجه هذه الأرض ، وإلى الله يرجع الجميع وتنال كل نفس من الله جزاء ما اختارت وتختار! إما إلى جنه أو إلى نار. وكل الناس يعلمون هذا. . ولكن حب الدنيا والاسترسال في هوى النفس وما تشتهي غطي القلوب وأعمى البصائر! نعم . . أعمى البصائر والبصيرة .

فصار الموت ورؤية الجنائز لا تزيد الإنسان إلا غفلة ، ومشاهدة تلك المناظر لا تحرك فيه ساكن من جمود العين أو قسوة القلب .

نعم يعلم الإنسان علم اليقين أنه سيموت كما مات هذا وذاك ، وهؤلاء وأولئك ، وأنهم سيرون بعد الموت أهوالا من العقاب والجزاء والمسائلة لمن قصر أو فرط أو اعتدى أو ظلم أو .. . ولكنه لا يظن أن ذلك منه قريب ، ولا يتوقع أنه سينتقل من دنياه إلى ذلك كله بهذه السرعة ، مع أنه يرى ويسمع كل يوم من الأحوال العجيبة ممن يموت حوله ، وتفجعهم منية الموت ، بألوان من أحوال الفجأة .

إن سبب هذا كله أخي : الغفلة ، ولهذا تكون القسوة في القلوب والجفوة في النفوس والقحط في العيون . قال تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ^(١) يقول الحسن رحمه الله : أتدري ما الران : الران هو " الذنب على الذنب حني يقسو القلب فلا يتعظ ولا يتأثر ولا يعتبر " الله اكبر هذه هي والله الحقيقة المرة .

أخي يا من أمسكت بهذه الرسالة تريد التذكر والاعتاظ ..

إن مشهد الاحتضار حين تبلغ الروح منتهاها وتصل إلى الحلقوم ، فتتهياً لتخرج من ذلك الجسد بأمر ربها كما دخلت بأمره أول مرة ، ليقف صاحبها على حافة العالم الآخر ، ويقف الجمع مكتوفي الأيدي عاجزين ، لا يملكون له شيئاً ، بل لا يدرون ما يحصل ويكون له في تلك الساعة ، مصداقاً لقوله تعالى (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ^(١) وقوله تعالى (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّتَمَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ *) ^(٢) لأمر يستدعي القلق ، ويستجلب الخوف من تلك العاقبة ، ومن ثم التهيؤ والاستعداد لما ينتظرنا في تلك الساعة.

ذكر الموت

ومن أعظم الأسباب في تحصيل ذكر الموت يكمن فيما أشار إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله : "أكثرُوا من ذكر هادم اللذات .. الموت " فدوام الذكر يضمن عدم الغفلة عنه ويؤمن من عدم نسيانه .

قال الحسن رحمه الله – وهو يبين أثر العمل بهذا الحديث : "ما أكثر عبد من ذكر الموت إلا رأى ذلك في عمله وما طال أمل عبد قط إلا ساء عمله "

وقال سعيد بن جبر - رحمه الله : " لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد علي قلبي " فالعلاج يكمن في الإكثار من تذكر الآخرة وأول منازلها وهو الموت .

(١) سورة الواقعة ، الآيات : ٨٣ - ٨٧

(٢) سورة القيامة ، الآيات : ٢٦ - ٣٠

وصف حال الميت :

ألم ... ألم ينزل في الروح المبتوثة في أعماق
البدن ، فالروح منزوع ومجنوب من كل عرق من العروق ، ومفصل من المفاصل ،
وعصب من الأعصاب حل بها الموت في أصل كل شعرة وبشرة من الرأس إلى
القدمين ، ولذلك ترى المضروب . . الشخص الذي يضرب إذا ضربته إستغاث . . فلماذا
يستغيث المضروب ؟
يستغيث المضروب لبقاء قوته في عقله ، وبقاء قوته في قلبه ، وبقاء قوته في لسانه !
ولكن لماذا لا يستغيث الميت ؟ لماذا لا يصرخ الميت ؟

أتدري لماذا؟

آه ثم آه .. في تلك اللحظات لا يصرخ الميت لان الموت قد صعد إلى العقل فغشيه وغيبه
، وجاء الى البصر فأعماه وأذهبه ، وجاء إلى اللسان فأخرسه وأسكته ، وجاء الى
الطرف فهدده واسكنه ، وجاء إلى اللون فغيره وأصفره ...
ارتفعت الحدقتان الى أعالي الأجفان ، وتقلصت الشفتان عن الأسنان ..
سكرة بعد سكرة ونزعة بعد نزعة ، وجذبة بعد جذبة ... جعلت خير الخلق وسيد الأولين
والآخرين عليه الصلاة والسلام يقول في النزع الأخير من سكرات الموت : " لا اله إلا
الله إن للموت سكرات ، ثم نصب يده فجعل يقول :
في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده " ^(١) عليه الصلاة والسلام .

أخي .. يا من أردت الصحوه من الرقده ، والانتباه من الغفلة :

إذا كان للموت سكرات مع أفضل الخلق ..

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون حالنا نحن؟! وماذا سنقول ساعتها؟! وما الذي سنصنعه في تلك اللحظات الحاسمة؟! .. الله المستعان

استمع .. معي إلى هذا الحوار الذي تدور أحداثه على فراش الاحتضار بين أرطوبون العرب

وداهيتهم الصحابي الجليل عمرو بن العاص وابنه عبد الله رضي الله عنهما أجمعين ، يقول

عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وهو يوجه هذا السؤال لأبيه وهو على فراش الموت :

كيف حاك يا أبتى ؟ فيقول : يا بني والله كأن جنبي في خشب وكأني أتنفس من سم إبرة،

وكأن غصن شوك يجذب من قدمي الى هامتي ، ثم أنشأ يقول

ليبتى كنت قبل ما بدا لي

في تلال الجبال أرعى الوعول

واليك المشهد الآخر :

يحتضر أحد العلماء وعنده طلابه وهو في النزاع ، فيقولون له : كيف حالك ؟ كيف تجدك ؟

فيقول وهو يصف حاله في ذلك النزاع : أشعر والله كأن السماوات السبع ينطبقن على

الأرض وأنا بينهما وكأن روحي تخرج من سم إبرة . !

لا إله إلا الله .. ابن آدم ، يا ابن آدم .. هل فكرت في يوم مصرعك .. هل تخيلت انتقالك

من موضعك .. توهم نفسك ، وقد حلت بك السكرات ، ونزل بك الأنين والغمرات فقائل : إن

فلانا قد أوصي ، وماله قد أحصى .

وبين قائل : إن فلانا ثقل لسانه ، فلا يعرف جيرانه ولا يكلم إخوانه ..

فكأنى بك تسمع الخطاب ولا تقدر على رد الجواب !

فتخيل نفسك يا عبد الله في تلك الساعة

وأنت تحس بالنفس الذي بين جنبيك يضطرب في نزول وصعود، والجسم هناك ممدود، والبصر إليه مشدود، والأعضاء دب بها البرود، وأصبح كل ما لك من نفس معدود ومحسوب، تقلب البصر في الأهل والولد، تودعهم والنفس تجود، وهم ييكون حولك، تسمعهم ولا تملك أن تجيب.. يصرخون بك.. يلتصقون بجسدك لعلك ويتمنون أن تعود.. تعود لتشاركهم فيما كنت تشاركهم فيه من الحزن أو الفرح،

تحنو عليهم.. تتفقدهم عندما يحتاجونك، يأنسون بك وتأتى إليهم، وهاهم اليوم الى جوارك وانت جسد أو جثة لا حراك فيها.. قد أخذهم الوجد والتأثر والحزن عليك وفقدك.. أم وولد.. زوجة وبنية أخ وأب، ولكن كما قال عز وجل، وهو يصف هذا المشهد: **(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧))** ^(١)

فبينما أنت في كربك وغمك من ألم الموت ينتابك بسكراته، قد ألمت بك أحداث جسام لارتقابك إحدى الشريرين من ربك أما إلى جنة أو إلى نار.

إذ نظرت فإذا بصفحة وجه ملك الموت تفجأك، تبدو لك وتراها عيانا، بأحسن صورة أو بأقبحها.. إذ صرت الآن في عداد الموتى وفي عالم جديد وحياة أخرى، ألا وهو عالم الآخرة وحياة البرزخ. فحري بك أن تستعد لهذه اللحظات الحاسمة، وأنت تعلم يقينا أن لها ما بعدها. **فلو أنا إذا متنا تركنا **** لكنت راحة الحي الموت**

ولكن هيهات يقول تعالى: **(أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)**

" فاللهم توبة خالصة من هذه الأقدار، ونهضة صادقة لتصفية ما بقي من الأكدار ويا محسنا إلي قبل أن أطلب، لا تخيب أملي فيك وأنا أطلب"

عن أبي بردة قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارا غليظا مما يصنع في اليمن وكساء من التي يدعون الملبدة فقالت : **إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذه الثوبين** ^(١)

أخي . . كان الموت بهذا العظيم من الأهمية ، وبهذا الخطر من المكانة لأن للموت له ما بعده وما أدراك ما بعده ثم ما أدراك ما بعده . . فبعد الموت : القبر وحياة البرزخ ، ثم البعث والنشور ، ثم الحشر وبعده الموقف والحساب وبعده العرض . . فالموازين فالصراط فالجنة أو النار . . أعاذنا الله وإياكم من النار ومن خزي دار البوار.

زيارة المقابر:

أخي . . جرب واذهب يوما إلى المقابر . . زر المقبرة إذا سكن الليل وأرخى سدوله وغارت نجومه وهدأ الناس ، ادخلها وهي مظلمة . . انظر إليها وهي ساكنة صامتة . . تجول بين القبور . . بين الموتى وهم رقاد . . رقاد في مساكنهم . . في حفرهم وتأمل تلك المساكن الضيقة المظلمة كيف أهلها فيها . . لا حراك لهم . . ولا أنيس . . ولا صاحب . . ولا أم ولا ولد ولا زوجة . . واجلس ما استطعت إلى أحد القبور الفارغة الخالية ، وتأمل من على شفيرها . . تأمل ضيقها . . انظر إلى اللحد فيها ، كم هو طوله ، وكم عرضه . . وتصور أن هذا القبر قد حفر لك . . وأنت نازله ، وهو مكانك وحظك من هذه الأرض التي تبني عليها اليوم مئات الأمتار.

(١) رواية الجماعة إلا النسائي وقال الترمذي حسن صحيح

يا ابن آدم . . كل ما تأنس به اليوم لن يبقى معك إذا حملت على الأكتاف ونقلت إلى المقابر، وأنزلت حفرتك ، لن يبقى معك أكثر من ساعة ولربما أقل.
فما الحمل والإنزال والدفن والتعزية بأكثر من ذلك ..
يودعونك في تلك الحفرة الضيقة المظلمة وفي ذلك
الصدع الصغير الموحش ثم يتركونك وحيدا فريدا.

وقف أبو العتاهية ينصح نفسه بزيارة القبور فقال فيها :

نفسى زوري القبور واعتبريها
حيث فيها لمن يزور عظام
وانظري كيف من حل فيها
بعد عز ، وهم بها أموات
حرصوا ، أملوا ، كحرصك يا نفس
ووافقهم الحمام ، فماتوا

واه لك أيها القبر

هكذا أطلقها الرافعي - رحمه الله - واصفا القبر:

واه أيها القبر، فما أنزلوا قط فيك ملكا عظامه من ذهب ، ولا بطلا عضلاته من حديد، ولا
أميرا جلده من ديباج ، ولا وزيرا وجهه من حجر، ولا غنيا جوفه خزانة ، ولا فقيرا في
أحشائه مخلاة . . الله أكبر!!

ومما قاله أيضا: فتحنا القبر. . وأنزلنا الميت العزيز. . الذي شفي من مرض الحياة !! وقفت هناك ، بل وقف التراب . . بل وقف التراب المتكلم (يقصد نفسه) ، أيعقل عن التراب الصامت ، ويعرف منه أن العمر على ما يمتد. . محدود بلحظة ، وأن القوة على ما تبلغ محدودة بخمود، وأن الغابات على ما تتسع . . محدودة بانقطاع . قال الله تعالى:

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)

سكرة الموت وما أدراك ما سكرة الموت ؟

إنها اللحظات التي تنتظرنا جميعا . فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله لأنك لو تركت بينهم لأيام قليلة بعد موتك فانه لا يطيق أحد أن يمر بك فضلا عن أن يجلس بجوارك ، فستر لك وحفظا لغيرك تدفن وندفن

فلولا القبر صار عليك سترا

لننتت الأباطيح والروابي

خلقت من التراب فصرت حيا

وعلمت الفصيح من الخطاب

وعدت إلى التراب فصرت فيه

كأنك ما خرجت من التراب

هذا قدرك وقدري وقد رنا جميعا اذا فارقت الروح الجسد وأصبحنا جثثا هامدة .

فلهذا وغيره أمرنا بالتدافن قال صلى الله عليه وسلم

"فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر" ^(١)

القبر يا أخي ..

ليل بهيم ووحدة موحشة وغربة منقطعة ، واختبار شديد عسير ، نحن على موعد مع مخلوقين عظيمين مهولين ، لطالما سمعنا بهما سماعا وقد أصبحا اليوم ماثلين بين عينيك حقيقة و عيانا تراهما وتسع صوتهما .. صوتا يقرع سمعك قرعا يقول : من ربك ؟! ما دينك :! من نبيك ؟!. . ولا تظن الأمر بتلك السهولة من الإجابة ، كما تبدو في ظاهرها وإنما هو عظيم عظم ما أنت فيه ساعتها من الهول والكرب والخوف ، وخفاء المصير. إن الجواب يكون ساعتها على قدر الهداية التي كنت عليها في الدنيا، والسداد في رد الخطاب على قدر ثبوت قدمك على صراط الله في الدنيا. .

قال تعالى:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) ^(١)

قال النبي عليه الصلاة والسلام : "نزلت في عذاب القبر" وزاد مسلم - رحمه الله - **يقال : من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد" فذلك قوله : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ)** ولهذا صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا فرغ من دفن الميت قام علي قبره وقال : " استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه يسأل "

فتوهم نفسك وقد صرت مع ذلكما الملكين في سؤال وجواب ، فماذا عساك أن تجيب أو ترد به الخطاب ؟ هل ستكون ممن يستحقون التثبيت فتثبت وتسعد بالجواب ؟ أو ممن لا يستحقونه ، فتتعثر في فمك الكلمات ولا تعرف رد الخطاب ؟ وعندها ستشقي شقاوة مرة لها ما بعدها من المراجعة والألم ، وتنتهي لضربة قاصمة من ذلكما الملكين المهولين ، وصرخة مدوية يسمعك منها كل شيء إلا الثقلان (الإنس والجن)، ثم يروح عليك من باب يفتح لك علي جهنم (والعياذ بالله) يأتيك من حرها وسمومها وتظل هكذا تعاني الأمرين ، وتموت مرارا وتخزي كل يوم حتى تقوم الساعة .

وآه لو تدري ما الذي أرداك في هذا المصير وصيرك إلى هذا الجزاء ؟ ! إنه ذاك الرجل الذي سيطلع عليك وأنت في حفرتك . . في ظلمتك فإذا وقع نظرك عليه استوحشت من منظره لفضاعة كربه صورته ووحشة وجوده معك في ذلك المنزل الضيق . **أتدري من ذلك ؟ ! . و من هو ؟ إنه عمك** و فعلك القبيح في الدنيا يتمثل لك في صورة رجل . وهكذا الأمر عذاب أو نعيم إلى أمد . . عبر نافذة تطل على الجنة أو شرفة تنفذ إلى النار حتى تقوم الساعة . و بينما هو كذلك في رقاده الموحش أو نومه الهائئ إذ ينتبه على صوت عظيم يوقظه مما هو فيه ليصحوا على هول جديد من أهوال ذلك العالم الآخر الذي صار فيه واليه . **إذا بالأرض التي هو في بطنها يشفق سطحها و تنفطر قشرتها وينزاح ترابها ليخرج من فيها من أهل القبور . . وهو منهم ،** **ما الذي حدث ؟** وما الذي يحدث ؟ إنها الساعة ! تقوم بإماراتها وعلاماتها إنه يوم الحساب .. فهام الموتى يخرجون من قبورهم حفاة عراة يساقون . . يبعثون من جديد ليوم الحساب .

وصف قيام الساعة والوقوف في المحشر

حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم فلا حس يسمع ولا شخص يرى، فإذا بالوحوش قد أقبلت من البراري وذرى الجبال : منكسة رؤوسها ذليلة ليوم النشور . . لغير بلية نابتها ، ولا خطيئة أصابتها، حتى وقفت من وراء الخلائق بالمسكنة والانكسار للملك الجبار . . **فإذا استووا . جميعا في موقف العرض والحساب** تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس ضوء الشمس والقمر فأظلمت الأرض بخمود سراجها وانطفاء نورها فبينما الخلائق كذلك إذ أبصروا السماء الدنيا من فوق رؤوسهم قد دارت بعظمتها ثم أخذت بالانشقاق ، يا هول انشقاقها ! في سمع الخلائق وهي تتمزق وتنفطر . والملائكة قيام علي أرجائها بعظيم أجسامهم ، وهول أصواتهم يقصدون الملك الأعلى .

ثم يأخذون محدقين بالخلائق وقد تسربلوا بأجنتهم ونكسوا رؤوسهم خشعا لربهم وتهيئوا للعرض عليه والوقوف بين يديه جل وعلا. حتى إذا وافي الموقف أهل السماوات السبع والأراضين السبع ، وأدنى الشمس من رؤوس الخلائق قاب قوسين أو أدنى. .
(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)

ولا ظل لأحد يومها إلا ظل عرش رب العالمين ، فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضجر بحر الشمس ، وقد صهرته بحرها واشتد كربه من وهجها ، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت ، فدفع بعضها بعضا وتضايقت ، فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش ، واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحمت أجسامهم .. عندها يأخذهم العرق ، ويبلغ فيهم مبلغه ، فيفيض منهم ويسيل حتى يستنقع على وجه الأرض فإذا به يعلو الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل ..
فمنهم من يبلغ العرق الى كعبيه ، ومنهم الى حقويه ، وبعضهم الى شحمة إذنيه ، ومنهم من يغيب في عرقه . وهكذا على قدر أعمالهم .^(١)

فتوهم نفسك يا عبد الله وأنت تنظر الى ذلك كله وتشهده بحواسك ، وتعيشه لحظة بلحظة ، ومرحلة مرحلة ، وقد وقفت مع الخلائق ، وتزاحمت معهم وقد شغلت بنفسك عن غيرك ، تنتظر المصير وما يكون لك في تلك الساعة .

مثل لنفسك أيها المـغرور
 إذ كورت شمس النهار وأدנית
 وإذا النجوم تساقطت وتناثرت
 وإذا البحار تفجرت من خوفها
 وإذا الجبال تقلعت بأصولها
 وإذا العشار تعطلت وتخربت
 وإذا الموودة سئلت عن شأنها
 وإذا الجليل طوى السماء بيمينه
 وإذا الصحائف نشرت فتطايرت
 وإذا السماء تكشطت عن أهلها
 وإذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها
 وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت لفتى
 وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى
 هذا بلا ذنب يخاف جنينه كيف
 يوم القيامة والسماء تمور
 حتى على رأس العباد تسيّر
 وتبدلت بعد الضياء كدور
 ورأيته مثل الجحيم تفور
 فرأيته مثل السحاب تسيّر
 خلت الديار فما بها معمر
 وبأي ذنب قتلها ميسور
 طي السجل كتابه المنشور
 وتهتكت للمؤمنين ستور
 ورأيت أفلاك السماء تدور
 على أهل الذنوب زفير
 على طول البلاء صبور
 القصاص وقلبه مذعور
 المصر على الذنوب دهور؟!

العرض على الله واستلام الصحف

إن أعظم مواقف ذلك اليوم هو : ساعة الحساب ، ولحظة العرض على الله تعالى . . قيوم السموات والأرض . . يوم يبقى الجبار الأعلى كما لم يزل واحدا منفردا بعظمته وجلاله . . فإذا جاء وقت الحساب الذي يحاسبهم الله فيه ، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون ، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء ،

ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره فأولئك هم الأشقياء . .

فتوهم . . نفسك أخي إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين ، ووقفت الخلائق مذعورة ، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلق : أين فلان ابن فلان ، هلم إلى العرض على الله تعالى. وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك من الله ..

لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء، عندها يقرع النداء قلبك وتعلم أنك المطلوب ، فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك ، وتغير لونك وطار قلبك . . ثم تخطي بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، وأنت تسير من بينهم للعرض على مولاك ، فتوهم نفسك في أيديهم ، وتوهم تخطيك الصفوف أمام الخلق أجمعين . . ثم توهم نضمك وقد مرت بين يدي مولاك . . ربك . في يدك صحيفة مخبرة بعملك . . لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها. . وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك ، من بين يديك ومن خلفك ، فكم من بلية قد كنت نسيتها. . ذكرتك إياها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها أظهرها وأبداها. .

قال عليه الصلاة والسلام : **"ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان"** ^(١)

(١) رواه البخاري ١٧ / ٧٥٤ في التوحيد ومسلم رقم (١٠١٦) في

الزكاة : والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة .

فتوهم . . نفسك إن كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حل بك الكمال والحسن والجمال . . كتابك في يمينك قد سعدت سعادة لا تشقى بعدها أبداً، وأما إن كنت غير ذلك ووصفت بانك من أهل الشقاوة والتعاسة فسيسود وجهك ، وتتخطى الخلائق وكتابك في شمالك تنادي بالويل والثبور، قد شقيت شقاوة لا تسعد بعدها أبداً.

هذا . . أحد السلف يقال له آدم بن أبي إياس كان يجثو على ركبتيه إذا وعظ في المجلس . . يقول والله الذي لا إله إلا هو ما من أحد إلا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، يقول الله له : ألم أكن رقيباً على قلبك إذ اشتهيت به ما لا يحل لك ؟

ألم أكن رقيباً على يديك إذ بطشت بهما إلى ما لا يحل لك عندي؟
ألم أكن رقيباً على قدميك إذ سعيت بهما إلى ما لا يحل لك عندي؟
استحييت من المخلوقين ! وكنت عليك أهون الناظرين ؟

إن للشر وللخير لسيما ليس تخفى.
كل مستخف بسر فمن الله بمرأى
لا ترى شيئاً على الله من الأشياء يخفى

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

على متن الصراط^(١)

لما يفارق الناس الموقف ينتهون عقب ذلك إلى ظلمة دامسة .. يصيرون إليها لحكمة يريد الله عز وجل أن يقررها.

سألت عائشة رضي الله عنها الرسول عليه الصلاة والسلام "أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ قال عليه الصلاة والسلام : " هم في الظلمة دون الجسر " ^(٢) فاعلم أن تلك الظلمة تحل بالناس بعد مفارقتهم للموقف ، وقبل أن يصلوا إلى الجسر المنصوب على متن جهنم .

وها هنا وفي هذا المكان (كما قال شارح الطحاوية)

يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويبقى المؤمنون فيحال بينهما بسور يمنعهم من الوصول إليهم وهو قوله تعالى (فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) فيا له من سور ذا باب عجيب !! باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ! فيصلون بعدها الى الصراط ، وما أدراك ما الصراط ثم ما أدراك ما الصراط ؟! سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصراط فقيل له ما الجسر؟ ما الصراط؟ فقال عليه الصلاة والسلام أنه " دحض مذلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل " ^(٣)

(١) سيخرج للمؤلف كتاب إن شاء الله يكون فيه تفاصيل الموقف

على الصراط وأهله ومواقف معبرة من أهل الجنة وأهل النار . ضمن موضوعات وخطب متنوعة

(٢) (رواه مسلم برقم (٣٤) كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة .

(٣) (رواه البخاري ١١-٣٧١/١٣ - ٤٠٣ في الرقاق ومسلم رقم ١٨٢ في الإيمان والتزمذي رقم (٢٥٦٠) في صفة الجنة .

وفي رواية يصف الرسول صلى الله عليه وسلم الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وفي رواية أخرى : " على حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار " وإذا كان هذا هو الصراط وتلك صفته والناس في ظلمة . . فما أخرج الناس ساعتها إلى النور.. نور يلتمسون به السير على ذلك الجسر.

وقفلة

ولكن هيهات . . هيهات أن يؤتى النور يومها إلى من اختار الظلمة في ضلالات الجهل والتخبط في شبهات العقول في الدنيا، وفضل سواد الشهوة والنزوة على نور الطاعة والإيمان ، وارتضى سبل الشيطان المظلمة على نور القرآن المبين . هيهات أن يؤتى لمثل هؤلاء نور يبصرون به جادتهم على الصراط ، فالناس يؤتون أنوارهم في ذلك اليوم على قدر أعمالهم وعلى قدر ثبات أقدامهم على طريق الله المستقيم في الدنيا . روى البيهقي بسند صحيح عن مسروق بن عبد الله قال : يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال : فمنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه ، يضيئ مرة وينطفئ أخرى . . إذا أضاء قدم قدمه وإذا أطفئ قام أي (وقف) .

ويصور الله تعالى هذا المشهد في كتابه الكريم فيقول سبحانه :

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ)^(١)

وبعد أن يأخذ كل منهم ما قسم له من نور يأتي دور الجواز . وقت المرور على الصراط ، فالناس ساعتها قد اجتمعوا على حافته واقفون ينظرون إليه بأبصارهم قد ملأ الفزع قلوبهم ! وتملك الخوف أجسادهم ! وهم يستعدون للعبور ، فيا لها من ساعة ما أفضعها وأشدها !

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - مذكرا بعظمة

المرور هذه : توهم نفسك يا عبد الله وأنت تقف ذلك الموقف . تفكر فيما بك من الفزع إذا رأيت الصراط مضروا على جهنم بدقة وزلقه ، ثم وقع بصرك على اسوداد جهنم من تحتك وهي تلظى بلهبها وتضطرم بنيرانها، قد ملا المكان عظم صوتها وتصف ثورانها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار والخطايا المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلا عن المشي على حدة ذلك الصراط ، فكيف بك يا عبد الله . . كيف بك إذا تحركت فرفعت إحدى قدميك لتضعها على متن الصراط فإذا أنت تحس بباطن قدمك حدته وشعرت بدقته ، فطار قلبك فزعا ونفسك هلعا وحالك . . يرحم الله حالك وحالنا معك ، ثم اضطررت إلى أن ترفع قدمك الثانية لتضعها مع الثانية ، فتوهم نفسك وأنت تثنيها ثم تضعها على الصراط .

فإذا بك قد استويت عليه والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناوشهم زبانية النار بالخطايف والكلايب ، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار على رؤوسهم ، قد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال ، والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال ، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال ينادونهم :

أما نهيتم عن كسب الأوزار.

أما خوفتم من عذاب النار.

أما أنذرتكم كل الإنذار

فيا له من منظر ، ما أفضعه ، ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيّقه .
فتوهم يا عبد الله . . ممرّك على الجسر وان يكون مغضوبا عليك بسبب معاصيك ، غير معفو
عنك بسبب ذنوبك وأوزارك . تخيل نفسك وأنت على ذلك الحال !! ثم تبدأ الجموع بالمرور
على الصراط لا يتخلف منهم احد ولا ينسى منهم احد يتقدمهم رسول الله عليه الصلاة
والسلام فيكون هو أول من يجيزه ثم يصير قائما عليه . . (عليه الصلاة والسلام) ، وهو
يقول : (رب سلم سلم) بل دعاء الرسل كلهم يومها : (اللهم سلم سلم)
ولا يعرف ساعتها أحد أحدا .

قال عليه الصلاة والسلام : " ثلاثة مواطن (أي في يوم القيامة) لا يذكر أحد أحدا:
(عند الميزان ، وعند تطاير الصحف ، وعند الصراط) ^(١) فالله المستعان .
فتصور هذا المشهد يا عبد الله . . تصور هذا المشهد يوم يأتي الرجل فلا يستطيع السير إلا
زحفا، إذا علمت أن أعمال العباد هي التي تجري بهم وعلى قدر أعمالهم تكون سرعة عبور
أحدهم على الصراط ، فالله المستعان .

واسمع إلى هذه اللفتة الجميلة من العلامة ابن القيم رحمه الله .في أمر الصراط يقول :
(على قدر ثبوت قدم العبد على الصراط المستقيم في الدنيا يكون ثبوت قدمه على الصراط
المنصوب على متن جهنم . . فلينظر أحدهم إلى الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره
على صراط ربه المستقيم في الدنيا فإنها الكلايب التي على جنبتي ذاك الصراط المنصوب
على جهنم تعوقه عن المرور عليه فان كثرت هنا وقويت فكذاك هي هناك) .

(١) رواه . أبو داود رقم (٤٧٥٥) في السنة وهو حديث حسن (جامع الأصول ٨٠٠٨/١٠)

نصب الموازين

وقبل ختام ذلك اليوم العظيم ينصب الميزان لوزن أعمال العباد.

يقول القرطبي - رحمه الله - : (وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها) ^(١).

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لو سعت فتقوله الملائكة يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك " ^(٢)

فقيل : إن الذي يوزن بالميزان يومئذ الأعمال وقيل صحف الأعمال وقيل الخلق أنفسهم ويحتمل كلها . قال تعالى : **(وَالْوِزْنُ يُؤْمَذُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** ^(٣)

ففي صحيح مسلم يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة " ^(٤)

ويؤتى بالرجل الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال .

قال عليه الصلاة والسلام يوما عن ساقى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما فحك الصحابة منها لدقتها قال : " والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد " ^(٥) الله أكبر!

فما هو وزنك عند الله وما هي مكانتك وقيمتك؟؟.

إن مرد ذلك كله لم الى ما يقوم في قلبك من إيمان وما انطوت به صحائف أعمالك .

" فالحمد لله تملأ الميزان " ،

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي

(٢) رواه الحاكم (٥٨٦١٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٩٤١).

(٣) سورة الأعراف، آية ٨

(٤) رواه مسلم برقم (٢٧٨٥) كتاب صفه القيامة والجنة والنار.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده وقال عنه لبن كثير تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي

" وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " ثقيلتان في الميزان كما دلت عليها الأحاديث الصحيحة يقول القرطبي - رحمه الله - :

(وإنما توزن أعمال المؤمن المتقي يوم القيامة لإظهار فضله ، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله و تبكيته له على فراغه وخلوه من كل خير ، والمؤمن يوزن يومها تزيينا لأمره ونشره على رؤوس الأشهاد).

فانظر أين ستكون يوم القيامة عند وزن الأعمال وفي أي الفريقين أنت !

ممن ستطيش كفة موازينهم خفة لخلوها من الأعمال الصالحة فتخزي؟! أم ممن ستثقل كفة موازينهم لثقلها بالأعمال الصالحة ، فعلى ذلك يا عبد الله يدور الفلاح والخسران .

قال تعالى (وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ) ^(١)

نسأل الله السلامة والعافية ونعوذ بالله من الخزي والخذلان .

نهاية الرحلة

إن رحلة الإنسان في عالم الآخرة رحلة عجيبة

مملوءة بالأحوال ، وصعوبة الأحوال ، عليها غاية الآمال ، وأصعب ما فيها بل أخطر وأعظم ما يكتنفها هو مصير الإنسان الأخير .

ومنزله النهائي . . حيث الخلود إلى الأبد . . والحياة التي ليس بعدها موت . . ولكن قرار ، إما إلى جنة أو إلى نار!! ففي الأول منزل الأبرار وفي الثاني منزل الفجار .

أهل النار يساقون الى الجحيم :

أخي. . إن النار هي الخزي الأكبر والخسران العظيم الذي ينتظر من كانت النار جزاؤه وقراره قال تعالى (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ^(١)

كما قال تعالى (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) ^(٢)

فما أن يفصل الله بين الخلائق يوم القيامة ويتعين أصحاب الجحيم ومن يدخلها حتى يحشر ذلك الجمع المهول الخاسر ليساق الى مصيره المخزي. . مصير الخزي والعار، فيأخذهم الخوف والهلع في جموع متعثرة المسير، مضطربة الخطوة، فإذا بهم ينهرون نهرا غليظا، ويصاح بهم من كل جانب، فيساقون إلى مصيرهم الأخير. . جماعات وزمرا يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم من بعض، في منظر كئيب تعيس قال تعالى :

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) ^(٣)

وقال تعالى (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) ^(٤)

ها هي عيان . . ترونها بأعينكم . . وأشعة لهيبها ينعكس بالدمع الذي يتفرق في محاجر أعينكم .

وما أن يقترب أهل النار الى النار حتى يبدو هنالك مشهد رهيب . . مشهد تطير له القلوب هلعاً وتضطرب منه النفوس جزعا. . إنه مشهد النار لما ترى أهلها قادمون إليها من بعيد، فإنها تبدأ بإطلاق أصوات مرعبة مخيفة معبرة عن حنقها وغيظها على المجرمين. قال الله تعالى (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا) ^(٥)

(١) آل عمران ، آية : ١٩٢

(٢) الفرقان ٦٦

(٣) الزمر ٧١

(٤) الطور ١٤

(٥) الفرقان ١٢

وأفزع من تلك الأصوات المخيفة منظر من النار غريب يعاينه أهل النار وهم قدوم عليها ألا وهو خروج عنق من النار يتراقص بلهيبه له عيان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، والناس ينظرون إليه متهيئين فزعين وهو يضطرب في صعود وهبوط فإذا به يطلق صوتاً يتوعد وينذر ويزمجر.

قال عليه الصلاة والسلام :

" يخرج يوم القيامة عنق من النار له عيان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني كلفت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين " ^(١)

وما أن يصل أهل النار إلى مثواهم التعيس وتقترب أقدامهم من أبوابها ، حتى تفتح لهم مصراعيها

قال تعالى (إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأْ أَبْوَابُهَا) ^(٢)

ومن خلال تلك الأبواب ينظرون إلى النار ويتأملون فيها مصيرهم ومثواهم الأخير والخائب

قال تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ^(٣)

آلآن . . آلآن تتمنون العودة لتتداركوا ما تماديتم فيه وأصررتم عليه من قبل !

رغم التذكير والنصح ؟

ورغم طول الإمهال ؟

وإذ لم ينفع الندم ولم تغني الحسرات ، إذا هم بالملائكة تزجهم من قفاهم في النار زجا فيبدأ الاقتحام والإدخال فيها عنوة .

قال تعالى : (فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنَ ۖ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) ^(٤)

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥٧٧) في صفة جهنم وقال الترمذي هذا حديث صحيح غريب كما حسنه الأرنؤوط انظر جامع الأصول (٥١٨/١٠).

(٢) سورة الزمر - ٧١

(٣) الأنعام ٢٧

(٤) الشعراء ٩٤-٩٥

يا له من خزي القرناء ، فيه جنود إبليس وشياطين الجن المغضوب عليهم فتختطفهم زبانية النار من نواصيهم وأرجلهم بعد أن تحكم قيديهم بالسلاسل والأغلال امتثالاً لأمر مولاهم جل وعلا:

(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) ^(١) فتلقيهم بعضهم على بعض في نار جهنم .

و لك أن تتخيل هذا المشهد المؤلم المفزع ، مشهد أهل النار وقد ألقى بعضهم على بعض وازدحم بعضهم فوق بعض . أجساد عارية قد أكلتها النار وصراخ وعويل وتلاوم وإيلام لا يطاق . . أجارنا الله وإياكم منه .

حتى إذا ادركوا فيها جميعاً . فإذا بالأبواب . .

أبواب جهنم تتحرك لتغلق فهذه مصارعها وأعمدتها يلتئم بعضها ببعض حتى تنطبق تماماً قال تعالى : **(إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) ^(٢)** وقال تعالى **(عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوَصَّدَةٌ) ^(٣)**

قال مقاتل - رحمه الله - : أي أطبقت الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد حتى يرجع عليهم حرها وحميمها) و هكذا يسدل الستار على العصاة المذنبين بل هكذا تكون نهاية المجرمين المعاندين.

وقبل أن نغادر هذا الموقف لنلقي معا نظرة أخيرة

من خلال آيات في كتاب الله وهي تصف حال أهل النار وهم بداخلها بعد أن أغلقت عليهم الأبواب فأوصدت . . فإن النار تأخذ تحيط بهم من كل جانب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وعن أيমানهم وعن شمائلهم ، لا يستطيعون دفع لهيبها ولا الفرار من لظاها ... الى أين يذهب ؟!

(١) الحاقة ٣٠-٣١

(٢) الهمزة ، ٨-٩

(٣) البلد ٢٠

قال تعالى (يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) ^(١) وقال سبحانه وتعالى (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) ^(٢) وقال عز وجل (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) ^(٣)

نعم حتى تصل النار إلى أصل قلوبهم وتحرق ما انطوت عليه من عناد واستكبار وجمود... تلك القلوب التي لم تستطع المواعظ ولا الزواجر إلانتهـا .

قال الله تعالى : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) ^(٤) الآن قد اكتشفوا أن الطريق التي كانوا يسلكونها كانت طريقا خاطئة وطريقا معوجا بسبب إتباعهم سبل الشيطان وتكبرهم على الحق وصدودهم عن سماع من كان يريد لهم الخير ويهديهم إليه .

اللهم أرنا الحق حقا ووفقنا لإتباعه وأرنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه . . وأجرنا من النار.

(١) سورة العنكبوت - ٥٥

(٢) سورة العراف - ٤١

(٣) سورة فاطر - ٣٧

(٤) سورة الأحزاب - ٦٦

المستقر الأخير لعباد الله المتقين

يقول سبحانه (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (١))

فالله سبحانه يقول هنا: (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٢)

أي قربت لهم . . نعم هكذا الجزاء من الرحمن سبحانه . . الجنة تتحرك وتقترب من أصحابها الذين باعوا أنفسهم وأموالهم وبذلوا أوقاتهم وصرفوا جهودهم إرضاء لمولاهم ، فالجنة هي التي تقترب إليهم فلا تريد منهم عناء المجيء الكثير فلقد عانوا كثيرا في الدنيا وصبروا على طاعة الله وعلى أصناف الفتن .

لا شك أن سعادة المؤمنين لا تعادلها سعادة عندما يرون الجنة تقترب إليهم ولم يبق بينهم وبين أن يدخلوها إلا خطوات يسировونها حتى يكونوا من سكانها ومن أهلها ، حيث دورهم التي اعدت لهم ، وزوجاتهم من الحور العين اللواتي تنتظرهم ، وحيث الأشجار والأنهار والأطيار وألوان النعيم مما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله سبحانه : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) (٣)

فتخيل نفسك يا عبد الله ، توهم نفسك وقد نلت تلك السعادة وأدركت ذلك الفوز العظيم ، فكنت ممن سيزفون الى الجنة مع المتقين ، ويسيرون زمرا مع الفائزين ، فتوهم نفسك يا عبد الله وأنت بين هذه الجموع المباركة ، وفيهم صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والأجلاء من التابعين لهم بإحسان ، وعلماء الأمة الأفاضل ومجاهديها الإبطال والصالحين الأطهار .

(١) سورة ق ، ٣١-٣٣

(٢) سورة الشعراء - ٩٠

(٣) الزمر - ٧٣

ويتقدم كل هذه الجموع الميمونة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا بأبواب الجنة تبدو لناظريها من بعيد وتلوح لأهلها القادمين عليها ، فتزداد فرحتهم لرؤيتها ويزيد شوقهم إليها . . (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا)^(١)

أي جماعات . . يجمعهم الله سبحانه ولا يفرقهم ، إخوة في الله في الدنيا وإخوة في الله يوم القيامة يساقون إلى جنان ربهم .

يقول ابن القيم - رحمه الله - وهو يصف المنظر سوق أهل الجنان إلى جنتهم وسوق أهل الجحيم إلى نارهم فيقول : (تأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمرا . من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير كذلك اليوم يؤنس بعضهم بعض ويفرح بعضهم ببعض وكذلك أصحاب الدار الأخرى . . النار يساقون إليها زمرا أي جماعات يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم من بعض وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة من أن يساقوا واحدا واحدا .)

عندها يتقدم رسول الله عليه الصلاة والسلام الجموع الهائلة من الخلق التي لا يحصي عددها إلا الله سبحانه من لدن آدم حتى تقوم الساعة ، فيا لها من مكانة سامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخشى الخلائق كلها ويخر هو ساجدا تحت العرش . . الشافع المشفع يوم المحشر ، فيتقدم بعدها إلى باب الجنة فيقرعه بيده الشريفة ويستفتح .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" أنا أول من يقرع باب الجنة " ^(٢) فيقول له الخازن : من أنت ؟

فيقول عليه الصلاة والسلام : محمد فيقول له : " بك . أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك " ^(٣)

(١) الزمر - ٧٣

(٢) رواه البخاري تعليقا في الدعوات ٨٢/١١ ومسلم برقم (٢٠٠) في الإيمان

(٣) رواه مسلم (١٣٣٣) كتاب الإيمان ، وأحمد (١٣٦/٣)

فتفتح الأبواب . . أبواب الجنة على مصراعيها ويا لها من أبواب هائلة الخلق ما بين كل مصراعين من أبوابها مسيرة أربعين سنة . . الله اكبر .

قال عليه الصلاة والسلام : " **إن ما بين المصراعين**

في الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام " ^(١).

وما أن تفتح الأبواب فترى الجنان من خلالها حتى تطير القلوب شغفا والنفوس لهفا للدخول فيها والمرور من أبوابها فتتلقاهم الملائكة على الأبواب مستقبليين ومبشرين ومحبيبة لهم بتحية الإسلام . . (وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) ^(٢)

وقال تعالى (جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) ^(٣)

ففي هذه الجنان يأتلف شملهم مع الصالحين من عباد الله ومن آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . . مكرمين بجمع شتاتهم وتلاقي أحبابهم لتكون لذة أخرى مع لذة الدخول الى الجنان حيث النبين والصديقين والشهداء والصالحين .

وفي ذلك التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم في حركة رائحة غادية قال تعالى: (يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) ^(٤) يقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) ^(٥)

فتخيل نفسك يا عبد الله انك دخلت الجنة مع تلك الجموع وصرت تمشون على أرضها وتنعمون بوارف ظلالها فإذا بالتربة التي تطئون زعفرانا، والحصباء التي تتحاشون دررا وياقوتا ومرجانا، تسير معكم على سطح الأرض انهارا ليست لها أخاديد ومع ذلك فهي لا تنحرف ولا تنجرف هكذا خلقها الله سبحانه غاية في الجمال والإبداع .

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٦٧) في الزهد .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤

(٣) سورة: الرعد، الأيتان ٢٣-٢٤

(٤) سورة: الرعد، آية ٢٣

(٥) سورة: الرعد، آية ٢٤

قال أبو هريرة رضي الله عنه : **(قلت يا رسول الله مم خلق ؟ قال عليه الصلاة والسلام : من الماء ، قلت : الجنة ما بناؤها؟**

قال : **لبنه من فضة ولبنه من ذهب ، وملاطها (أي طينتها) المسك الأذفر (أي الطيب الرائحة) وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران)** ^(١)

وإذا كان هذا هو الحال على الأرض فإن على الرؤوس ظلال وارفة من أشجار عالية بثمار دانية يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ففي صحيح البخاري عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : **"إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا إن شئتم : (وظل ممدود)** ^(٢)

ثم لا تسأل عن المنازل والقصور والخيام اللؤلؤية وعن حور العين وعن الجمال مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وهي مع ذلك دار الطهر والنقاء والصفاء ، خالية من الأكدار قد نزع الغل والبغضاء من القلوب والحسد من النفوس فعاشوا إخوانا متحابين . قال تعالى : **(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)** ^(٣)

وبعد . . فإن الحديث عن نعيم الجنة يطول والمقام لا يسع ، وغاية ذلك أن نعيم الجنة يفوق كل وصف ويقصر دونه الخيال ، ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا ، فهي كما جاء في بعض الآثار عن جمال نعيمها :

بأنها نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة نضيجة وزوجة حسناء وحلل كثيرة في مقام أمين في حبره ونضرة ودور عالية بهية .

نسأل الله سبحانه من فضله وأن يجعلنا وإياكم من أهلها

(١) رواه أحمد والترمذي والدارمي ، وقال الألباني ، له طرق وشواهد (مشكاة المصابيح (١٥٦٦/٣) رقم الحديث (٥٦٣٠)

(٢) رواه البخاري كتاب بدأ الخلق — باب ما جاء في صفة الجنة .

(٣) الحجر - ٤٧

و أخيرا فما الذي تتمناه أو ترجوه في تلك المواقف يا عبد الله ؟

أجب نفسك !! ما الذي تتمنى أن يكون لك ؟

أن تعود إلى الدنيا لتعمل صالحا؟

لو مد لك في عمرك لتستدرك ما قد فات ؟!

لو أرجعت فاستقبل من أمرك ما استدبرت ؟

أتتمنى هذا؟ . وترجو ذلك ؟!

فأنت اليوم . . في مناك . .

نعم . . وما زلت في رجاك .

ما زلت في الدنيا وما زال لك في العمر بقية فاستقبل إن كنت صادقا . استقبل من أمرك ما

استدبرت ؟ قبل أن تدركك المنية ويحل بك الأجل . فاليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا

عمل . . وما مضى فات والمؤمل غيب و لك الساعة التي أنت فيها .

وكما قيل : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا!!) فإذا كنت محقا في خوفك المزعوم . . يا ابن آدم

فإننا نقول لك كما قال إسحاق بن خلف الزاهد :

(ليس الخائف من بكى وعصر عينيه ، ولكن الخائف من ترك الأمر الذي يخاف أن يعذب عليه)

فحاسب نفسك وقل لها :

يا نَفْسُ أَيْنَ أَبِي، وَأَيْنَ أَبُو أَبِي

وَأَبُوهُ عَدِّي لَا أَبَا لَكَ وَاحْسُبِي

عُدِّي، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ، فَلَمْ أَجِدْ

بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيكَ آدَمَ مِنْ أَبِ

أَفَأَنْتِ تَرْجِينَ السَّلَامَةَ بَعْدَهُمْ

هَلَّا هُدَيْتِ لِسَمْتِ وَجهِ الْمَطْلَبِ

قَدْ مَاتَ مَا بَيْنَ الْجَنِينِ إِلَى الرَّضِيعِ

إِلَى الْفَطِيمِ إِلَى الْكَبِيرِ الْأَشِيبِ

فإلى متى هذا أراني لاعبا

وَأَرَى الْمَنِيَّةَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْعَبِ

دخل أبو بردة على عائشة رضي الله عنها .. قال : فأخرجت إلينا إزارا غليظا مما يصنع في اليمن وكساء من التي يدعون الملبدة فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذه الثوبين ^(١)

وكل ناع فسينعى كل باك سيبكي
وكل مذكور سينسى وكل مدخور سيفنى
من علا فالله أعلى ليس غير الله يبقى

إبن ادم ...

ألا يا خائضاً بحر الأمانى
هداك الله ما هذا التواني
أضعت العمر عصياناً وجهلاً
فمهلاً أيها المغرور مهلاً
مضى عمرُ الشباب وأنت غافلٌ
وفي ثوب العما والغِي رافل
بلالُ الشيب نادى في المفارق
بحي على الذهاب وأنت غارق
ببحر الإثم لا تصغى لواعظ
وإن أطرى وأطنب في المواعظ
وقلبك هائمٌ في كل وادٍ
وجهلك كل يومٍ في ازديادٍ
على تحصيل دنياك الدنيّه
مُجداً في الصباح وفي العشيّه
وجهد المرء في الدنيا شديدٌ
وليس ينال منها ما يريدُ

(١) رواة الجماعة إلا النسائي وقال الترمذي حسن صحيح

بل كما قال يحيى بن معاذ

عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمال والتراب ثم تطمع في الكواعب
والأتراب؟ هيهات؟ أنت سكران بغير شراب ولكن ما أكملك لو بادرت املك،،، ما أجلك لو
بادرت موتك... ما أقواك لو خالفت هواك....

أخي. . تفكر في مصارع الذين سبقوا، وتدبر مصيرهم أين انطلقوا، واعلم أن القوم انقسموا
وافترقوا، قوم منهم سعدوا، ومنهم قوم شقوا. . فاختر أنت أي الفريقين لتكن منهم . .
أخي. يا من تقرأ هذه الأسطر، أنا على يقين أنك سمعت مثل هذا الكلام كثيرا عبر الخطب
ومر بك كثيرا من خلال المواعظ ، ولربما تحدثت به أنت لغيرك أو ذكرته إلى آخرين في
بعض مجالسك ، ولكن كيف نستفيد من ذلك عمليا ونلمس أثره واضحا في أعمالنا وأقوالنا
ويبقى تأثيره في القلب مدة أطول ، فينعكس ذلك على بقية حياتنا ، وطرق تعاملنا مع
مجريات الحياة وأشغالها وتقلبنا في متاعها ، فهذا الذي ينبغي أن يسعى إليه المرء ويجتهد
في تحصيله وإدراكه.

طوبى لمن سهرت بالليل عيناها
وبات في قلقٍ في حبِّ مولاها
وناح يوما على تفريطه وبكى
خوفا لما قد جنا من خطاياها
وقام يرعى نجوم الليل منفردًا
شوقًا إليه وعين الله ترعاه

وكتبه

د/ عبد الكريم الديوان

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
بين يدي الرسالة	٤
أخي يا من أمسكت بهذه الرسالة	١١
ذكر الموت	١١
وصف حال الميت	١٢
أخي يا من أردت الصحوه من الرقده	١٣
زيارة المقابر	١٥
واه لك ايها القبر	١٦
الحياة في القبر	١٨
وصف قيام الساعة والوقوف في المحشر	١٩
العرض على الله واستلام الصحف	٢٢
على متن الصراط	٢٤
وقفه	٢٥
نصب الموازين	٢٨
نهاية الرحلة	٢٩
أهل النار يساقون الى الجحيم	٣٠
المستقر الأخير لعباد الله المتقين	٣٤
وأخيرا	٣٥